مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية | ISSN: 2437 - 0363 EISSN 2602-6767 | المجلد 12 / العدد: 01 (2026)، 1074-1087

بلاغة الصورة في الموروث الشعري النائلي: دراسة في جماليات القصيدة الشعبية

The Rhetoric of the Image in the Na'ili Poetic Heritage: A Study in the Aesthetics of the Folk Poem

د. بن زهية عبد الله[1*]

[1] جامعة تيبازة (الجزائر)، benzahia.abdallah@cu-tipaza.dz

تاريخ الاستلام: 2026/01/12 تاريخ القبول: 2026/03/13 تاريخ النشر: 2026/06/05

ملخص:

تحاول هذه الدراسة تقديم مقاربة جمالية للقصيدة الشعبية النائلية، مع التركيز بشكل خاص على "الصورة الشعرية" باعتبارها المكون الجوهري والفاعل في تشكيل القصيدة، حيث تكتسب القصيدة تفرّدها وقوتها التأثيرية من خلال الصور الشعرية التي تحتويها. حيث يسعى هذا البحث إلى معالجة عدة إشكاليات محورية منها: استكشاف مدى تأثير المحيط الاجتماعي في تشكيل بنية القصيدة الشعبية والكشف عن القيم الاجتماعية والجمالية المتضمنة فيها؟ بالإضافة إلى بين الدور الذي اضطلع به الشعر الشعبي في أرشفة تاريخ المجتمع (العرش) وتوثيق عاداته وتقاليده".

كلمات مفتاحية: الشعر الشعبي، القيم الجمالية، البعد الاجتماعي، الثقافة، التراث.

Abstract:

This study attempts to provide an aesthetic approach to the Naïli popular poem, with a particular focus on the "poetic image" as the core and dynamic component in the poem's composition. A poem derives its uniqueness and influential power from the poetic images it contains. This research seeks to address several key issues, including: exploring the extent to which the social environment influences the structure of the popular poem, and uncovering the social and aesthetic values embedded within it. Additionally, it aims to clarify the role that popular poetry has played in archiving the history of the community (the Throne or tribe) and documenting its customs and traditions.

Keywords: Folk poetry; Aesthetic Valuessocial; The Social Dimension; culture; heritage.

1.مقدمة:

إن الشعر الشعبي هو ذلك الكلام الذي يتغنى به الشعب، وهو سجل شفوي لماضيه وتاريخه ومعتقداته، حيث يعكس شخصيته الروحية والثقافية والفنية، ويعكس بنيته ويصور همومه ومشكلاته وتناقضاته، إذ يتميز هذا الشعر بقدرته تصوير مختلف جوانب الحياة، فهو لا يقتصر على تصوير البيئة الطبيعية وجمالياتها، بل يمتد ليشمل البنية الاجتماعية والنسق القيمي والأخلاقي للمجتمعات، ومن خلال هذه الصور الشعرية المتكاملة، يتم إبراز طبيعة النظام الاجتماعي القائم والكشف عن تفاصيله، وهذا ما يجعل تلك النصوص تحمل في طياتها التجارب الشخصية تارة، والتجارب الجماعية تارة أخرى.

إنّ العلاقة بين الشاعر ومجتمعه تتأسس على وعيه العميق بالواقع المحيط به، حيث يضطلع بدور الموثّق للقيم المادية والمعنوية السائدة، ويعيد إنتاج هذه القيم فنيًا في نصوص شعرية تجسّد الذهنية الجمعية والأنماط السلوكية للمجتمع، وتعكس آماله وتحدياته وتطلعاته المستقبلية. وانطلاقًا من هذه الرؤية، وفق خصائص فنية وثقافية تجعله النصّ الشعري خصباً للتحليل، وقادراً على عكس ثراء الموروث الاجتماعي بعاداته وتقاليده.

2. عرش أولاد نايل الأصل والحضور التاريخي:

يُعد عرش أولاد نايل واحدة من أبرز التكتلات القبلية في الجزائر من حيث العدد والانتشار الجغرافي، وتنتسب القبيلة في أصولها كما تشير المصادر التاريخية التي تناولت أنساب الأشراف في المنطقة (الهدار، 2006، صفحة 03) إلى البيت النبوي الشريف عبر سلسلة نسب ترتقي إلى الإمام علي بن أبي طالب، والسيدة فاطمة الزهراء بنت النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حيث ينحدر أولاد نايل من جدهم الأعلى سيدي محمد نايل بن عبد الله الخرشفي الإدريسي الحسني، وتتألف ذريته من عدة فروع رئيسية، من بينهم: زكريا، ويحيى، ومليك، وأبو الليث، وعيسى، والذين يشكلون مع أحفادهم عماد القبيلة

وأصلها. ويُطلق على مجموع هذه الفروع اسم "أولاد سيدي نايل" نسبةً إلى جدهم المشترك.

وتفصيلاً، يمتد نسب سيدي محمد نايل على النحو التالي: هو محمد نايل بن عبد الله الخرشفي، بن محمد، بن أحمد، بن المسعود، بن عيسى، بن عبد الله، بن عبد الكريم، بن عمر، بن محمد، بن علي بن عبد السلام (المتوفى سنة 623هـ)، بن مشيش، بن أبي بكر، بن علي، بن محمد حرمة، بن عيسى، بن سليمان (سلام)، بن مزوار، بن حيدرة (علي)، بن محمد، بن أحمد، بن عبد الله، بن إدريس الأصغر (دفين فاس)، بن إدريس الأكبر (مؤسس الدولة الإدريسية ودفين زرهون سنة 177هـ)، بن عبد الله الكامل (المدفون ببغداد سنة 144هـ)، بن الحسن المثنى، بن الحسن السبط (حفيد النبي صلى الله عليه وسلم والمدفون بالبقيع)، بن الإمام علي بن أبي طالب والسيدة فاطمة الزهراء.

يُشير المسرد التاريخي لتواجد عرش أولاد سيدي نائل إلى أن بداياته كانت متركزة في منطقة الحضنة، وهي الموطن الذي نشأ فيه جدهم المؤسس(سيدي محمد نايل)، والذي تحتضن ضريحه اليوم، ومع تزايد أعدادهم بمرور الزمن شهدت القبيلة توسعًا ديموغرافيًا وجغرافيًا ملحوظًا أدى هذا النمو إلى امتداد نفوذهم ومناطق استقرارهم لتشمل رقعة واسعة من الأراضي الجزائرية، انطلاقًا من معاقلهم الرئيسية في المسيلة، الجلفة وبوسعادة، لتصل إلى مناطق شاسعة تضم بسكرة، تقرت، المدية، البرواقية، تيارت الأغواط، جامعة، المغير، ورقلة، وصولًا إلى مرتفعات جرجرة، البويرة، وحتى العاصمة. (الهدار، 2006، صفحة 15) ، وقد حظيت هذه القبيلة باهتمام المؤرخين والعلماء، ومن أبرزهم العلامة الشيخ عبد الرحمان الديسي الذي أفرد لهم مؤلفًا بعنوان "تحفة الأفضال في ترجمة سيدي نايل. وفي هذا الكتاب، أثنى الديسي على قبيلة أولاد نايل مشيرًا إلى كثرة من نبغ فيهم من الأولياء والعلماء والأبطال والكرماء، فقال: "ففيهم من الأولياء والعلماء والأبطال والأجواد ما لا يُحصى كثرةً مما هو ذائع ومستفيض عند من

يعرف أخبار الماضين."إلا أنه تحسر في الوقت ذاته على ظاهرة إهمال التدوين التاريخي في المنطقة، معتبرًا أن ذلك حال دون توثيق مآثرهم وإنجازاتهم العظيمة بالكامل. (عبدالرحمان، د.ت، صفحة 24)

3. القصيدة الشعبية في منطقة أولاد نايل:

القيم الإنسانية هي الموضوعات الرئيسية التي يتناولها الشاعر في القصيدة الشعبية، فالشعر الشعبي كغيره من أنواع أشكال التعبير ناتج عن الاندماج في البيئة والقرب من أفراد المجتمع، فيفرح الشاعر لفرحهم ويحزن لحزنهم ويعيش معهم الآمال والتطلعات، ويعالج معهم المشاكل، فيكون في كل الأحوال مخلداً بقصائده الآثار والذكرى.

تحمل القصيدة الشعبية النايلية رصيداً ضخماً من الرموز والدلالات الروحية والإيحائية، فكانت بذلك مرآة عاكسة تعكس جانباً من التراث الثقافي الذي يميز المجتمع ويدل على عمق أصالته واتساع ثقافته، فالقصيدة الشعبية النايلية تظهر الروابط القائمة بين أفراد المجتمع الواحد، وهي في نفس الوقت رمز لحياتهم المشتركة، حيث تصور العلاقة المتبادلة، والتفاعل بين الأفراد، وتعكس طريقة عيشهم في الحياة، وإرثهم الثقافي من عادات وتقاليد، وهذا الداعي الذي يجعل الشعراء يستلهمون طابعهم المعيشي في الحياة لخلق تمازج ثقافي يتجلى بين سطور نص القصيدة " فالنص كائن لغوي يشهد على حضور التراث فيه." (بارت، 2002) فالتراث الثقافي والتاريخي لأي مجتمع يمثل انعكاسًا لوعيه بذاته، كما يشير المفكر سعيد يقطين في قوله: "إننا كما نفكر في ذواتنا نفكر في تراثنا وتاريخنا الحضاري والثقافي، وكما نقرأ مستقبلنا، وكما نفهم ذاتنا نفهم الآخر من حولنا". (يقطين، 1997، صفحة 15) وفي سياق مجتمع أولاد نايل، يبرز الشعر الشعبي كوثيقة أساسية تعكس الخصائص الحضارية والثقافية، وتنقل العادات والتقاليد السائدة، وتصور العلاقات الاجتماعية القائمة على الألفة والمودة داخل الأسرة والعرش.

لقد ارتبط الشعر بمنطقة أولاد نايل ارتباطًا وثيقًا، فكانت ولا تزال منارة للشعراء حيث لا يخلو تجمع سكني سواء كان خيمة أو بيتًا أو قرية، من وجود شاعر، وكثير منهم

يتمتعون بالقدرة على الارتجال. وقد برز في تاريخ المنطقة عدد كبير من الشعراء الذين أثروا ديوان الشعر النايلي، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ السماتي، عبد القادر بن النوي، أحمد بلعكف، بولرباح المسعدي، بن عيسى الهدار، سي معمر بن الشيخ، بلخيري المحفوظ، والمباركي بلحاج، وغيرهم ممن أتقنوا الصنعة الشعرية، ورسموا من خلال قصائدهم صورًا حية للمجتمع النايلي، موثقين تاريخه ومآثره وقيمه في هذا السياق، نجد الشاعر مباركي بلحاج يفتخر بقبيلته قائلًا:

بإسمك ربي خالقي نبدأ ننظمْ ** كلمة سهلَى نكمل مبداها.

فالجلفة وأولاد نايل نتكلم ** سلسلة الأشراف يسعد من جاها.

أهل الهمة و النيف ولمعاد الكرم ** وأهل الدين أصلاتهم في وقتاها.

البيت الحَمراء جات في الصحراء مرسم ** وعَنها يسأل ضيف ربي وين راها.

كما يؤكد الشاعر بلخيري محفوظ على شجاعة القبيلة ومكانتها بقوله:

يامن جيت تسالني نعطيك اخبار* نحكيلك على العرش نوريك أوصافو**

من بكري معلوم فيه ابطال اخيار* ذوادا على الحوض واحد ما حافو**

لقد وظف شعراء منطقة أولاد نايل قصائدهم لتوثيق الأحداث التاريخية، والتعبير عن الحالات النفسية المختلفة من مشاعر وعواطف، فضلًا عن دورهم في نشر القيم الأخلاقية ونقد الواقع الاجتماعي. ويظهر أحد الشعراء مكانة الشعر في المنطقة وفحولتها بقوله:

يا صديقي كاش ما دبرت أبيات * نحكيلك كلمات راهم في بالي**

نحكيلك عن قصتي كيفاه إبدات * نشرحلك كيفاه جرحي نبالي**

ساهر طول الليل ما نرقد هيهات * ويعذرني من راه حالو كحالي**

ما نقبل زهو الليالي والقصرات * ما نقبل قصرة مع عوز الوالي**

يعجبني تقصير الرجال الدهات * كل آخر قصيدتو يرويهالي**

لقد دأب الشعراء في القصيدة النايلية على اتباع بنية تقليدية، إذ يبدأون قصائدهم غالبًا بالوقوف على الأطلال ومناداة الأحباب، ثم ينتقلون إلى الفخر بالأنساب والانتماء القبلي ويتميز "الموال النايلي" بقدرته على إضفاء جمالية خاصة على هذه المقدمات. وعادةً ما تُختتم القصائد بالصلاة على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) تبركًا وتعلقًا بالدين، بعد ذلك يتعمق الشاعر في موضوعه الأساسي، منسجًا من آلامه وتطلعاته قصيدة تعالج قضايا اجتماعية أو شخصية، مما يظهر تمازجًا فريدًا بين الحنين إلى الماضي، والمسؤولية الاجتماعية، والارتباط الديني. هذا العمق التأملي جعل من القصيدة الشعبية وثيقة قيمة إذ تناولت موضوعات متنوعة شملت التاريخ، والعادات والتقاليد، والمرأة، والخيمة والفروسية، والأخلاق، والدين، مما يجعلها شاهدة على نمط حياة مجتمع بخصوصياته وبساطته.

4. المؤثرات الأساسية في القصيدة الشعبية النايلية:

يتضح جليًا تأثر القصيدة الشعرية في منطقة أولاد نايل بالبيئة بنوعيها، الاجتماعية والطبيعية إذ تعكس النصوص الشعرية العادات والتقاليد والقيم والأعراف السائدة، وهو ما يبرهن على مدى تفاعل الشاعر مع محيطه.

1.4 البيئة الطبيعية:

لقد شكلت البيئة البدوية التي اعتمد فيها أفراد عرش أولاد نايل على رعي الأغنام والإبل والترحال مصدر إلهام أساسيًا للشعراء، وتعد "البيت الحمراء"، وهي الخيمة التقليدية، من أبرز رموز هذا العرش تُصنع هذه الخيمة من الصوف وشعر الماعز، وتتكون من قطع قماشية تسمى "الفليج" تُنسج وتُخاط معًا لتوفير الدفء والحماية من المطر والشمس. وقد اكتسبت لونها الأحمر المميز، الذي يميزها عن خيام البدو الأخرى، لأنها كانت بمثابة "زاوية متنقلة" لنشر العلم والدين، فأراد سيدي نايل أن يميزها بهذا اللون، وفي هذا الإطار، يقول الشاعر عطوي عبد القادر، المعروف بابن شراب الواد:

اتوحشت أولاد نايل ذَا الخطـرة * الله لا تراس نغدى أنا ويـاه.**

نسري عل لفجار وانشق البكرة * نتوكل عن خالقي عظيم الجــاه.**

البرّ اللي فيه تطياب العشـرة * توحشنا ذوك المراسم ياحسـراه.**

محلاها قعدات في البيت الحمرا * ذيك القعدة تزيد للخاطر تنـزاه.**

يقدم الشاعر في هذه القصيدة رؤية فنية معمقة للحياة البدوية التي تتجسد في رمزية الخيمة بجمالياتها الحرفية المتقنة، وتعكس هذه الصورة المهارات اليدوية السائدة في مجتمع أولاد نايل، حيث تبرز الدور المحوري للمرأة في هذا السياق، إذ يُعد حضورها أساسيًا في تشييد "البيت الأحمر"، إذ تتولى بنفسها نسج وتطريز المواد الأولية من الصوف وشعر الماعز، بأسلوب فني رفيع. ويقوم الشاعر بوصف هذه العملية الإبداعية مستخدمًا معجمًا لغويًا مستقى من البيئة المحلية، ليحاكي بدقة مراحل صناعة الخيمة، مسلطًا الضوء على دور الفنانة التي تتولى عمليات الغزل والنسيج والصباغة وتنسيق الألوان.

ويتتبع النص الشعري مراحل بناء الخيمة وعناصرها الأساسية، والتي تتضمن ما يلي:

- **الهيكل الأساسي (البيت):** يتألف من مجموعة من الأشرطة القماشية المنسوجة التي تُعرف بـ "الفليج"، تتم حياكتها معًا. وتُنسج هذه الأشرطة على الأرض مباشرةً باستخدام أوتاد لتثبيت النسيج، مع قطعتين خشبيتين في المنتصف تُسميان "الصوصيا" أو "الميشع"، وبمساعدة أداة "المدرة" أو "الضراب."
- **ملحقات الخيمة:**
  - **الطريفة** :شريط نسيجي يُخاط على امتداد واجهة مدخل الخيمة.
  - **الحِيال** :قطعة قماشية خفيفة تعمل كفاصل (ستار) بين قسم الرجال وقسم النساء.
  - **الركيزة الأساسية (العمود الأوسط):** وهو أطول الأعمدة ويتوسط الخيمة النايلية مانحًا إياها شكلها الهرمي المميز.

- **القنطاس** :قطعة دائرية مسطحة توضع على قمة العمود الأوسط لحماية قماش الخيمة من التلف.
- **البيبان** :العمودان الأمامي والخلفي اللذان يدعمان وسط الخيمة.
- **السوابع** :الأعمدة الجانبية التي تدعم أطراف الخيمة.

أما من الداخل، فتُفرش الخيمة بأغطية صوفية تُعرف بـ "الفراش العمراني"، يطغى عليها اللونان الأحمر والأسود، ويُعزى تميز خيام أولاد نايل باللون الأحمر إلى سببين رئيسيين:

أ/ يُقال إن سيدي أحمد بن يوسف، شيخ سيدي نايل، هو من أمرهم باعتماد هذا اللون لتمييزهم عن غيرهم، وتسهيل التعارف والتناصر فيما بينهم، خاصة في ظل كثرة الخصوم

ب/ كما يُحتمل أن اختيار اللون الأحمر يعود إلى نسبهم الشريف الحسني القرشي من مضر، حيث كانت تُعرف "بمضر الحمراء.

إن نمط العيش في البيئة الصحراوية المفتوحة قد عزز ارتباط النوايل الوثيق بحيواناتهم وكغيرهم من عرب البادية، اشتهروا بالفروسية، وحب الخيل، والنزعة إلى إثبات الذات. وقد أكسبتهم حياة البادية قيمًا أخلاقية رفيعة كالكرم، وعزة النفس، والصبر، والشجاعة، والتعاون كما طورت لديهم مهارات عملية مرتبطة بطبيعة ترحالهم، كمعرفة الاتجاهات، وتحديد أسماء المواقع، والطرق، والجبال، ومصادر المياه. وقد اعتادوا على التنقل المستمر، ومارسوا الصيد كوسيلة للمتعة ومصدر للغذاء وفي هذا السياق، يصف الشاعر مباركي بلحاج بعض جوانب حياة البادية بقوله:

احصراه عللخيام اللي حمرا * و يا حصراه على البدو الرحالين**

يا مزين مرحولهم وقت الخطرا * بيه ايطوفو علوطن يسرا ويمين**

والصرعوفه صوتها عندو نڤرا * وصوت الڤصبة زادها تحفه وحنين**

2.4 البيئة الاجتماعية:

1.2.4 اللغة:

تمثل اللغة المكون الجوهري والوسيط الإبداعي الأساسي في التجربة الشعرية، حيث لا يمكن الاستغناء عنها بوصفها الأداة المركزية لأي عمل فني، فاللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير بل هي البوابة التي تنطلق عبرها الانفعالات الوجدانية والمشاعر الإنسانية وفي هذا السياق ارتبط فهم الإنسان للعالم بقدرته على استخدام اللغة، كما ارتبط إدراكه لقوة الكلمة بظهور مفاهيم كالسحر، مما جعل قوة اللغة والسحر ظاهرتين متلازمتين في تاريخ الفكر الإنساني. (اسماعيل، 1981، صفحة 173) حيث تغلب على قصائد الشعر الشعبي اللغة العامية (اللهجة) المأخوذة من واقع الشاعر وبيئة منشأه واستعمال الألفاظ العامية لتقريب المعنى إلى ذهن السامع، إضافة إلى ذلك أن قائل الشعر يعيش في البادية فنلاحظ في لغته مؤشرات البداوة ومميزاتها التي لازالت تتجلى حتى في الشعر الشعبي الحداثي.

بعض المفردات جمعناها من المعجم الاصطلاحي المتداول في اللهجة النائلية (اجتهادنا الخاص)			
القرعان: القرآن. **الحوش**: فناء المنزل. **العمارة**: الكيس. **لريام**: النساء الجميلات (مفردها الريم). **إيكفّح أو يدّفق**: يَسكُب **عجاجة**: عاصفة رملية. **البالطو**: المعطف **يلاجي**: يتألم. **الوجبه**: تقال لرجل العلم المعروف والمظهر البارز. **الفيلاج**: المدينة **الدشرة**: القرية. **هازط**: خائف جدا.	**الدبايب**: قلّة من الغنم. **الجملة**: الاجتماع. **بياتك**: أجدادك. **السيمة**: الوصف. **المطمورة**: المخزن تحت الأرض. **شرّاد**: قبيح. **التهوديس**: الأرق والوسواس. **التفيقيح**: التعجرف وزيادة الكلام. **التورشيق**: كلام المداعبة والتسلية. **يتْحَسِّى**: يأكل خبزاً ومع كل لقمة يشرب لبناً أو ماءً	**خف، فيسع**= أسرع **وشنهي**: ما هذا؟ **ويناه**: من؟ **ايه**: نعم **ياسر**: بكثرة **ياكشفتي**: تقال للحسرة. **يزقد**: كثير الحركة **أخزر**: أنظر **أدحي**: أدفع **يزهق**: يصرخ **أهدا**: أترك **يورّد**: يسقي الماء **اتْمَرقِيدْ**: التماطل والتسوّيف.	**حبَّس**: توقف **أحبس**: اهدأ **رد بالك**: احذر **أمعول**: أنوي **يَسْمَات**: يتجاوب أو يلتزم الصمت. **اللهيف** : الشائع هو الإفراط في طلب المال. **التحكاك**: الاستفزاز والتبلي **أزقي** = أسقي **قيدها**: سجلها **عوز الوالي**: قليل الشأن. **الضيم**: الظلم(الحقرة) **التّقو**: الحرارة

ويتضح لنا من خلا ل مسرد المصطلحات الموضح في الجدول التالي أن يبرز استخدام اللهجة العامية المستمدة من الواقع المعيشي للشاعر وبيئته الاجتماعية، ويهدف هذا التوظيف إلى تقريب المضامين الشعرية من المتلقي وتحقيق تواصل أعمق معه. ونظرًا للطبيعة البدوية لحياة الشاعر، فإن نصوصه الشعرية، حتى في أشكالها الحداثية، تزخر بمؤشرات لغوية وبيئية تعكس هذه الخلفية الثقافية. ويتضح من خلال تحليل المفردات المستخدمة أن لغة الشاعر ليست منعزلة عن محيطه، بل هي نتاج مكتسباته اللغوية التي تشكلت من خلال تفاعله مع مجتمعه البدوي، حيث يستلهم مفرداته من هذا المحيط الثقافي ويعيد صياغتها في قالب فني جمالي يعبر عن أسلوبه الخاص.

2.2.4 العادات والتقاليد:

تعتبر العادات والتقاليد ركيزة أساسية في تشكيل الهوية الاجتماعية والثقافية لأي مجتمع، وترتبط هذه الممارسات ارتباطًا وثيقًا باستمرارية الحياة الاجتماعية حيث تؤدي وظائف محددة في كل مرحلة من مراحلها. ولفهم هذه العادات بعمق، لا بد من دراستها ضمن سياقها الاجتماعي الذي أنتجها، فهي على الرغم من قابليتها للتجدد، تظل حاملة لخصوصيات ثقافية تميز المجتمع الذي تنتمي إليه.

وقد عُرف مجتمع أولاد نايل بتمسكه بمنظومة قيمية راسخة، أبرزها الكرم، وحسن الضيافة، وسمو الأخلاق، والاعتزاز بالشرف والأرض. ويُعد الشعر الشعبي سجلاً حيًا ومرآة عاكسة لهذه القيم، إذ يعبر بصدق عن الوجدان الجمعي للمجتمع. (الحافظ، 2013، صفحة 13) وفي القصيدة التالية، يصور الشاعر هذه القيم بقوله:

قرب يا من جيت قاصد مرسمنا * وهذا بر أولاد نائل رحب بيك.**

من ذي الساعة راك كي واحد منا * يا مزين ذي الدار راها عمرت بيك.**

إذا كانت عاجبتك جملتنا رانا * في مقام أهلك ومماليك.**

يتناول النص الشعري قيمة الكرم وحسن الضيافة بوصفها إحدى أبرز السمات المتجذرة في ثقافة أولاد نايل، حيث يرحب الشاعر بالضيف معتزًا بهذا الإرث المتوارث عبر

الأجيال. وإلى جانب الكرم، يبرز النص قيمة "الحياء" كدليل على نبل النفس، وهي قيمة أخلاقية حث عليها الدين الإسلامي. ويختتم الشاعر قصيدته بالترحم على أجداده، مستذكرًا مآثرهم وبالصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

لقد تميز النسيج الاجتماعي النايلي بمجموعة من العادات والطقوس التي تنظم مختلف جوانب الحياة، بدءًا من بنية الأسرة ومرورًا بطقوس الزواج والاحتفالات الدينية والموسمية المرتبطة بالزراعة والحصاد، ووصولاً إلى أشكال التكافل الاجتماعي مثل "التويزة". وتؤكد هذه الممارسات على أهمية العمل الجماعي والمشورة، مما يعكس قوة الروابط الاجتماعية والتكافل بين أفراد المجتمع. وقد وثّقت القصيدة الشعبية هذه الممارسات، لتشكل سجلاً شعرياً يرسم صورة أصيلة للمجتمع، نابعة من ثقافته وهويته.

5. موضوعات وأغراض القصيدة الشعبية:

تعددت الموضوعات والأغراض الشعرية في القصيدة الشعبية بمنطقة أولاد نايل، نتيجة لتفاعل الشعراء مع قضايا مجتمعهم ورؤيتهم المتفردة للعالم. وقد قدموا من خلال أشعارهم رؤى نقدية واقتراحات لمعالجة التحولات الاجتماعية. وفي هذا السياق، يعبر الشاعر بلخيري محفوظ عن أسفه لانتشار الأنانية وتغليب المصالح المادية على القيم الإنسانية، فيقول:

يا خوتي مول لعقل راه تعذب * وعاد يدور عالرفاقة ما يلقاش**

شوفو يا لحباب للوقت تقلب * و اتخبل مول النباهة عقلو طاش**

من يعرف ذا الجيل يبقى يستعجب * مول الغيرة عاد مركز للتهماش**

نجد الشاعر هنا متحسرا على الحال الذي آل إليه المجتمع من انتشار للأنانية وتهميش للفقراء وهي دلائل على المادية التي أصبح المجتمع يتعامل على أساسها فيقف الشاعر مخاطباً أهله منتقدا وضعه محاولةً منه الرجوع بهم إلى فضائل الأخلاق، وداعيا إياهم إلى معاملة الناس بحسن على أساس الشخص لا المادة.

يقدم الشاعر هنا رؤية نقدية للتحولات الاجتماعية التي أدت إلى تهميش القيم الأخلاقية، ويدعو إلى العودة إلى التعامل الإنساني القائم على الجوهر لا المظهر المادي.

كما تفاعل الشعر الشعبي مع القضايا الوطنية الكبرى، مثل المأساة الوطنية ومشروع الوئام المدني، وهو ما نجد له صدى في قصيدة "الوئام" للشاعر الحاج المختار شونان، الذي يشيد فيها بجهود تحقيق المصالحة الوطنية، قائلاً:

احفظ يا ربي السفينة تسّقم * راها قرب اليابسة جانا تبشير**

كانت في محيط مايج يتلاطم * امواجو متقالبه بارياح اكثير**

نقذوها ربان والرايس فاهم * فارس في عرض البحر مولى تدبير**

يتناول الشاعر في هذه الأبيات فترة التسعينات وما خلفته من آثار مدمرة، معبرًا عن تفاؤله بمشروع الوئام المدني الذي يمثله كـ"سفينة" تصل إلى بر الأمان بفضل قيادتها الحكيمة.

ولم يغفل الشعر الشعبي عن الغزل، حيث عبر الشعراء عن تجاربهم العاطفية ومشاعرهم تجاه المرأة. وقد تمظهرت صورة المرأة كرمز للجمال والقيم البدوية الأصيلة:

اغرام الهيفاء زاد لحساسي نمّاه * علمني لشعار نكتب و اغناها**

علمني علم القوافي هي كيفاه * و اطلاسم لنظام سهّل معناها**

إذا قلت صحيح محبوبي نهواه * ماني غالط يالخو هي تسواها**

إذا قيس اعشق ليلى عنها تفاه * ما طاقش فراقها مات بداها**

كما تناولت القصائد موضوعات وجودية كالموت والفناء، حيث يقدم الشاعر تأملاً في نهاية الحياة، كما فعل الشاعر جلجلي جلول في قصيدته "شاب الرأس"، التي يرثي فيها نفسه وهو على فراش الموت، مقدمًا قصيدته كعظة وتذكرة بالآخرة.

وهكذا، تنوعت أغراض القصيدة الشعبية النايلية بين المدح، والرثاء، والفخر، والزهد والغزل، والنقد الاجتماعي. وقد شكلت هذه القصائد سجلاً غنياً بالتجارب الإنسانية، ولا يزال الكثير منها ينتظر الدراسة والتحليل للكشف عن أبعاده الفنية والثقافية.

6. القصيدة الشعبية ودورها في حفظ التراث و التعريف بالعرش:

يعكس التراث الشعبي أفكار المجتمع وتوجهاته، وقد لعب دورًا بارزًا في تطور الفنون حيث تحولت العديد من عناصره إلى أعمال فنية رائعة، هذه الأعمال تظل مرتبطة بالموروث الذي يجسد التفاعل بين الإنسان وبيئته الطبيعية، بالإضافة إلى التأثيرات المتبادلة بين المجتمعات والثقافات، لذلك يُعتبر أدب التراث الشعبي أدبًا إنسانيًا يستلهم من ثقافة المجتمع ويستمد أفكاره منها.

إنّ المجتمع النايلي من المجتمعات الأكثر ارتباطًا بالعادات والتقاليد لما يميزه من طابع الألفة والتعاون، سواء على مستوى الأسرة أو بين أفراد المجتمع بشكل عام، وتُعد القصيدة الشعبية من أبرز سمات الفن في الجزائر، حيث يجد فيها الفرد متنفسًا لما تنشره من قيم، ولما تقدمه من إرشاد وتوجيه ونقد، هذه القصائد متجذرة في العادات منذ القدم، مما يجعل الشاعر الشعبي يرسم صوره الشعرية انطلاقًا من طبيعة الحياة التي يعيشها، ومرتبطًا بالثقافة المحلية التي تشكل جزءًا أساسيًا من هوية الإنسان.

إنّ الشعر الشعبي النايلي ينبع من المجتمع ويتأثر بثقافته، حيث يسعى الشاعر إلى رسم لوحاته الشعرية بما يتناسب مع محيطه مستلهمًا من عناصره الجمالية، حيث ينتج الشاعر فسيفساء شعرية تعكس بين سطورها صورًا جميلة تلخص حياة مليئة بالأصالة، مرتبطة بالعادات والتقاليد التي تُعتبر عنوان كل مجتمع.

وغالبًا ما تحتوي القصائد الشعبية النائلية على وصف شامل لحياة أولاد نائل بما في ذلك عاداتهم وتقاليدهم ونمط حياتهم المميز الذي توارثته الأجيال بفخر، حيث يُبرز الشاعر في نصوصه الإبداعية البنية التي قام عليها العرش النايلي، مُحييًا روح شعب عريق في صفحات التاريخ، مواصفا أمجاده بحروف لهجته الخاصة، ومميزات كانت علامة على تفرده عبر الزمن.

ومن بين الخصائص التي تميز القصيدة الشعبية النايلية هو ارتباطها الوثيق بالموروث الشعبي، سواء من حيث اللغة أو نمط الحياة أو الرؤية للحياة. نجد الشاعر يغوص في عمق أصالته ليستلهم منها ما يُوضح صورته الشعرية، مما يجعلها أكثر قربًا للمتلقين، مع مراعاة جميع المستويات الفكرية، لتصل قصيدته إلى قلوب المستمعين، وهذا ما جعل القصيدة الشعبية تصنف أرشيفا لما تحتويه من الأحداث التاريخية والمحافل الثقافية يجعلها قاموسًا للهجة مجتمع لم يقبل الدخيل من المفردات، وظل صامدًا محافظًا على رونق ألفاظه متفاخرًا بتميزه.

7. خاتمة:

يمثل التراث الشعبي رصيدًا ثمينًا من القيم والمعارف والتقاليد التي تتناقلها الأجيال، وهو ما يساهم في الحفاظ على الهوية الثقافية التي يعتز بها كل فرد. وعلى الرغم من التحولات الحضارية وتغير أنماط الحياة، يظل هذا التراث مكونًا أساسيًا للشخصية الجماعية فإننا نجد الموروث الشعبي بكل أبعاده يصارع على ألسنة من أرادوا إحياءه و المحافظة عليه من أجل البقاء والثبات في وجه الحضارة العصرية التي بدأ تلتهم في طريقها كل مؤشرات الأصالة التي طالما ساهمت في تكوين الشخصية الإنسانية، نتيجة لهذه الحال ظلت الثقافة البدوية بكل أشكالها تحاول الحفاظ على النمط الحياتي الخاص بالماضي، والحرص على حفظ التراث الأصيل، على اعتبار أن هناك امتداد للقيم الاجتماعية والثقافية من الماضي إلى الحاضر، لذلك وجب المحافظة عليها ببعث روحها من جديد وتجديد القراءات على نصوصها حتى يبقى بريق أصالتنا وعنوان انتمائنا بارزا مشعا كما يقول سعيد يقطين:" إن إعادة قراءة تراثنا الأدبي والفكري ومعاودة التفكير فيه بشكل دائم وجديد، من مستلزمات تكوين فكرة دقيقة ومتجددة عنه، وعن أبرز ملامحه وسماته، كما أنه من دواعي تشكيل وعي جديد بذاتنا وهويتنا ومستقبلنا، وعلى هذا الأساس نبني قاعدة متينة عنوانها الأصالة لننطلق بعد ذلك بحثا عن حداثة تضفي على أصالتنا المزيد من الجمال والتألق.

8. قائمة المراجع:

1. إبـ ـراهـ يم عـ بد الـ جافـ ظ. (2013)، دراسات في الأدب الشعبي،الـ قاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
2. الديسي محمد بن عبدالرحمان. (د.ت). تحفة الأفاضل في نسب سيدي نائل، شرح وتعليق: عبد الكريم قذيفة، تلخيص: سعيد نعيمي (المجلد د.ط). الجزائر.
3. الميلود قويسم بن الهدار. (2006). موسوعة التحقيق المتكامل في (مناقب وقيم وتقاليد وتراث ونسب أولاد نايل) ومن جاورهم من العروش والرفق والقبائل (المجلد 01). الجلفة، الجزائر: دار الثقافة .
4. رولان بارت. (2002). لذة النص، تر: منذر عياشي. سوريا: مركز الإنماء الحضاري.
5. سعيد يقطين. (1997). الكلام و الخبر مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي (المجلد 01). الدار البيضاء، المغرب.
6. عز الدين اسماعيل. (1981). الشعر العربي – قضاياه و ظواهره الفنية المعنوية – . بيروت، لبنان: دار الفكر العربي.